

لاهوتُ السيد المسيح

Divinity of Christ

بكر كل خليفة

Firstborn of all creation

بقلم / مراد سلامة

Author : Mourad Salama

Published :26/8/2007



www.coptic-apologetics.com

في هذا البحث نحن بصدد مناقشة العدد :

(كولوسي ١: ١٥) "الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، **بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ**." الكلمة التي سنركز عليها بحثنا هي كلمة **بكر**، فإن العديد من غير المسيحيين يعتبرون أن هذا العدد دليل على أن المسيح مخلوق، لأنه دُعي بكر كل خليفة.

كلمة بكر هنا أصلها اليوناني هو : **πρωτότοκος** (بروتوتوكوس)

هذه الكلمة معناها : بكر firstborn حرفيا أو مجازياً^١

وهي غالبا ما تُستخدم بالمعنى المجازي.

ولمعرفة المعنى الدقيق للمصطلح (بكر كل خليفة) يجب أن نأخذ خلفية جيدة عن معنى كلمة بكر في اليهودية ، التي هي الخلفية الدينية و الفكرية للقديس بولس الرسول، وهذه الخلفية اليهودية التي نلمسها في جميع كتاباته ..

تُستخدم كلمة بكر **بمنهجين مختلفين**

المنهج الاول عندما تشير الى ترتيب الميلاد، وهنا هي تُعني المولود

الاول..

ذكور :

(تكوين ٢٢: ٢١) "عُوصَا **بِكْرَهُ** وَبُوزَا اخَاهُ وَقَمُوئِيلَ اَبَا اِرَامَ"
(١ أخبار ٢: ٢٥) "وَكَانَ بَنُو يِرْحَمِيئِيلَ **بِكْرَ حَصْرُونَ**: **الْبِكْرُ رَامَ**, ثُمَّ بُونَةُ وَأُورَنَا وَأُوصَمَ وَأَخِيَا."

إناث:

(تكوين ١٩: ٣١) "وَقَالَتِ **الْبِكْرُ لِلصَّغِيرَةِ**: «أَبُونَا قَدْ شَاخَ وَلَيْسَ فِي الارضِ رَجُلٌ لِيَدْخُلَ عَلَيْنَا كَعَادَةِ كُلِّ الارضِ."
(١ صموئيل ١٤: ٤٩) "وَكَانَ بَنُو شَاوُلَ يُونَاتَانَ وَيَشُوِيَّ وَمَلْكِيشُوَعِ, وَأَسْمَا ابْنَتَيْهِ: **أَسْمُ الْبِكْرِ مِيرَبُ وَأَسْمُ الصَّغِيرَةِ مِيكَالُ**."

حيوانات:

(خروج ١١: ٥) "فَيَمُوتُ كُلُّ **بِكْرٍ** فِي اَرْضِ مِصْرَ مِنْ **بِكْرِ** فِرْعَوْنَ الْجَالِسِ عَلَى كُرْسِيِّهِ إِلَى **بِكْرِ** الْجَارِيَةِ الَّتِي خَلَفَ الرَّحَى وَكُلُّ **بِكْرِ** **بِهَيْمَةٍ**."
(لاويين ٢٧: ٢٦) "«لَكِنَّ **الْبِكْرَ** الَّذِي يُفَرِّزُ **بِكْرًا** لِلرَّبِّ مِنَ **الْبَهَائِمِ** فَلَا يُقَدِّسُهُ أَحَدٌ. ثَوْرًا كَانَ أَوْ شَاةً فَهُوَ لِلرَّبِّ»."

¹ Strong's Hebrew and Greek Dictionary

وللحصاد أيضا :
 (لاويين ٢: ١٤) " «وَأَنْ قَرَّبْتَ تَقْدِمَةَ بَاكُورَاتِ لِلرَّبِّ ففَرِيكَا مَشْوِيَا بالنَّارِ. جَرِيشَا سَوِيْقَا تُقَرَّبُ تَقْدِمَةَ بَاكُورَاتِكَ. »
 (أرميا ٢٤: ٢) " فِي السَّلَّةِ الْوَاحِدَةِ تَيْنٌ جَيِّدٌ جَدًّا مِثْلُ التَّيْنِ الْبَاكُورِيِّ وَفِي السَّلَّةِ الْأُخْرَى تَيْنٌ رَدِيءٌ جَدًّا لَا يُؤْكَلُ مِنْ رَدَاعَتِهِ. "

المنهج الثاني عندما ترتبط كلمة بكر بالحقوق ، و ليس بالترتيب:

هنا دائما كلمة بكر تُشير للابن الوارث ، الذي سيكون مسئولا عن إرث و ممتلكات العائلة:

(تنثية ٢١: ١٧) " بَلْ يَعْرِفُ ابْنُ الْمَكْرُوهَةِ بَكْرًا لِيُعْطِيَهُ نَصِيبَ اثْنَيْنِ مِنْ كُلِّ مَا يُوجَدُ عِنْدَهُ لِأَنَّهُ هُوَ أَوْلُ قُدْرَتِهِ. لَهُ حَقُّ الْبِكُورِيَّةِ. "

وكما هو واضح في قصة بيع عيسو بكوريته ليعقوب :
 (تكويين ٢٥: ٣٠-٣٣) " فَقَالَ عَيْسُو لِيَعْقُوبَ: «اطْعِمْنِي مِنْ هَذَا الْاِحْمَرِ لِأَنِّي قَدْ اعْيَيْتُ. (لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ اُدُومَ). - فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي الْيَوْمَ بَكُورِيَّتِكَ». - فَقَالَ عَيْسُو: «هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ فَلِمَ أَذْا لِي بَكُورِيَّةٌ؟» - فَقَالَ يَعْقُوبُ: «احْلِفْ لِي الْيَوْمَ». فَحَلَفَ لَهُ. فَبَاعَ بَكُورِيَّتَهُ لِيَعْقُوبَ. "

ويُعلق القديس بولس في رسالته للعبرانيين عن موضوع بكورية عيسو ويقول :
 (عبرانيين ١٢: ١٦-١٧) " لِئَلَّا يَكُونَ أَحَدٌ زَانِيًا أَوْ مُسْتَبِيحًا كَعَيْسُو، الَّذِي لِأَجْلِ أَكْلَةِ وَاحِدَةٍ بَاعَ بَكُورِيَّتَهُ. - فَإِنَّكُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ أَيْضًا بَعْدَ ذَلِكَ، لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرِثَ الْبَرَكَةَ رُفِضَ، إِذْ لَمْ يَجِدْ لِلتَّوْبَةِ مَكَانًا، مَعَ أَنَّهُ طَلَبَهَا بِدُمُوعٍ. "

هذا البكر في الغالب كان ذكرا ، و لكن ليس بالضرورة أن يكون هو أول المولودين ، أي أن البكر الذي له الحقوق ، لا يُشترط أن يكون هو البكر بحسب ترتيب الولادة.

ونجد أن صفة البكر يُمكن أن يعطيها الأب لابن غير الابن الاكبر :
 (١ أخبار ٥: ١-٢) " وَبَنُو رَأُوبِيْنَ بَكْرُ إِسْرَائِيلَ. لِأَنَّهُ هُوَ الْبَكْرُ وَلِأَجْلِ تَدْنِيْسِهِ فِرَاشَ أَبِيهِ، أُعْطِيَتْ بَكُورِيَّتُهُ لِبَنِي يُوْسُفَ بْنِ إِسْرَائِيلَ، فَلَمْ يُنْسَبْ بِكْرًا. - لِأَنَّ يَهُودَا اعْتَزَّ عَلَى إِخْوَتِهِ وَمِنْهُ الرَّئِيسُ، وَأَمَّا الْبَكُورِيَّةُ فَلِيُوْسُفَ. "

إذن هنا أعطيت البكورية ليوسف بالرغم من أنه كان أصغر من رأوبين.

ولبيان أهمية البكورية في موثيق الرب و مواعيده نأخذ مثال :

وعد إبراهيم :

كان لإبراهيم طفلين ، الطفل الأكبر (البكر) هو إسماعيل ، أما الطفل الأصغر فهو اسحق ، ولكن عندما أراد الله أن يقطع وعد و ميثاق مع إبراهيم ، قطعه مع اسحق ، و نال اسحق كل أولويات و صلاحيات و كرامة البكر ، بالرغم من أنه لم يكن أول طفل لابراهيم.

وكان لاسحق ابن ابراهيم ولدان.. الأكبر هو عيسو ، و الأصغر هو يعقوب. ولكن بركة البكورية ، أخذها يعقوب الأصغر ، و قطع الله الميثاق مع يعقوب الأصغر ، و أخذ بذلك يعقوب (الأصغر) كل أولويات و صلاحيات و كرامة البكر ، بالرغم من كونه الأصغر.

ثم قال الرب عن شعب إسرائيل أنه ابنه البكر ، بالرغم من أن هناك سلالات و شعوب كثيرة ظهرت قبل الشعب الإسرائيلي ، فإن الشعب الإسرائيلي يُعنى به أبناء يعقوب و سلالته ، و بالطبع هناك سلالات ظهرت قبل هذه السلالة.

إذن من بداية الكتاب المقدس ، نرى أن خطة الله للخلاص دائماً ما تأخذ و تستخدم الجماعة أو الابن غير البكر ، بل ان البكورية تُعطى لابن آخر غير الابن الأكبر.

نخرج من هذه النقطة بملحوظة هامة ستساعدنا في الفهم قبل أن نتطرق لبقية النقاط وهي :

الابن الذي يأخذ كرامة البكورية و صلاحياتها و يكون مسئولاً عن إرث العائلة ، و يستخدمه الله في خطة الخلاص ، ليس هو الابن الأكبر في السن ، ولكنه الابن الصالح ، و في أغلب الأحيان تصادف بأنه ليس الأكبر ، و لكنه يكون أصغر من أخوته.

أي ان كلمة بكر في مضمونها من واقع العهد القديم، من خلال خطة خلاص الله للبشرية، لا تشير إلى الأقدمية في السن، **و لكنها تشير إلى الأولوية في الكرامة.**

وسنسوق الآن بعض الأمثلة على أن كلمة بكر لا تُعني بالضرورة أن الأسبقية في الميلاد، بل تُعني الأولوية في الكرامة :

(مزمو ٨٩ : ٢٧) "أنا أيضاً أجعله بخرّاً أعلى من ملوك الأرض."

هنا الله سمى داود بأنه بكر ، بالرغم من أن داود كان أصغر أخوته ، و هذا يدل على أن بكر هنا تلايد معنى الأسبقية و الأفضلية في الكرامة.

(أرميا ٣١ : ٩) "بالبكاء يأتون وبالنضرة عات أفودهم. أسيرهم إلى أنهار ماء في طريق مستقيمة لا يعثرون فيها. لأنني صيرت لإسرائيل أباً وأقرايم هو بكرى."

(أشعياء ١٤ : ٣٠) "وَتَرَعَى أَبْكَارُ الْمَسَاكِينِ وَيَرْبُضُ الْبَائِسُونَ بِالْأَمَانِ وَأَمِيتَ
أَصْلَكَ بِالْجُوعِ فَيَقْتُلُ بَقِيَّتَكَ."

هنا طبعا المقصود من كلمة أبكار المساكين : الأكثر فقرا

كما أن قصة يعقوب و عيسو أيضا توضح هذا المعنى :
(تكوين ٢٥ : ٣٠-٣٣) "فَقَالَ عَيْسُو لِيَعْقُوبَ: «اطْعَمْنِي مِنْ هَذَا الْاحْمَرِ لِأَنِّي قَدْ
اعْيَيْتُ. (لِذَلِكَ دُعِيَ اسْمُهُ اُدُومَ). - فَقَالَ يَعْقُوبُ: «بِعْنِي الْيَوْمَ بِكُورِيَّتِكَ». - فَقَالَ
عَيْسُو: «هَا أَنَا مَاضٍ إِلَى الْمَوْتِ فَلِمَ أَذْأِدُ لِي بِكُورِيَّةٍ؟» - فَقَالَ يَعْقُوبُ: «أَحْلِفْ لِي
الْيَوْمَ». فَحَلَفَ لَهُ. فَبَاعَ بِكُورِيَّتِهِ لِيَعْقُوبَ.

إذن نجد هنا انالبكورية تُباع و تُشترى، و بالطبع لا يمكن أن تشتري بكورية
شخص فتحدث مُعجزة وتصير أنت الأخ الأكبر له ، و لكن بالطبع نفهم من هذه
القصة أن البكورية تُعني الكرامة ، و الأفضلية، و الأولوية.

(خروج ٤ : ٢٢) "فَتَقُولُ لِفِرْعَوْنَ: هَكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ: اسْرَائِيلُ ابْنِي الْبَكْرُ."
بالطبع الشعب الإسرائيلي ليس أول شعب خلقه الله للوجود ، لأن هذا غير منطقي
بالمرة ، و لكن الله سمى الشعب الإسرائيلي بأنه البكر ، من ناحية الكرامة و
الأولوية و الأفضلية.

ننتقل إلى نقطة أخرى في هذا البحث، وهي تحليل بقية الأعداد في هذا الإصحاح
(كولوسي ١)

(كولوسي ١ : ١٨) "وَهُوَ رَأْسُ الْجَسَدِ: الْكَنِيسَةِ. الَّذِي هُوَ الْبِدَاءُ، بَكْرٌ مِنَ الْأَمْوَاتِ،
لِكَيْ يَكُونَ هُوَ مُتَقَدِّمًا فِي كُلِّ شَيْءٍ."

السيد المسيح ليس هو أول من قاموا من الاموات ، فعلى سبيل المثال نقرأ في
العهد القديم عن ابن الأرملة ، الذي أقامه إيليا :

(املوك ١٧ : ٢٢) "فَسَمِعَ الرَّبُّ لَصَوْتِ إِيلِيَّا، فَرَجَعَتْ نَفْسُ الْوَالِدِ إِلَى جَوْفِهِ فَعَاشَ."
إذن نفهم أن كلمة بكر من الأموات ، مقصود بها أنه الأعظم كرامة فيمن قاموا من
الموت، و بذلك اعتبر بكرا (في ضوء شرح كلمة بكر كما أوردنا في البداية)

لنكمل بقية أعداد الإصحاح:

١٥ الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللَّهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بَكْرٌ كُلُّ خَلِيقَةٍ.

١٦ فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ: مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا عَلَى الْأَرْضِ، مَا يُرَى وَمَا لَا يُرَى،
سِوَاءَ كَانَ عَرُوشًا أَمْ سَيَادَاتٍ أَمْ رِيَاسَاتٍ أَمْ سَلَاطِينٍ. الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ.

١٧ الَّذِي هُوَ قَبْلَ كُلِّ شَيْءٍ، وَفِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ

لو كان القديس بولس يقصد من كلامه بأن السيد المسيح هو بكر كل خليفة أنه أول مخلوقات الله ، فلماذا يعقب كلمة بكر كل خليفة بالمصطلحات الآتية :

١-فيه خُلِق الكل

٢-الكل به و له قد خُلِق

٣-الذي هو قبل كل شيء ، و فيه يقوم الكل

فكيف يقول القديس بولس عن السيد المسيح أنه مخلوق ، ثم يقول بعدها إنه هو الخالق ؟

إذن نفهم من كلمات بولس الرسول عن السيد المسيح أنه بكر كل خليفة، بأنه أعظم من ظهر في البشرية في الكرامة و الاولوية و الأسبقية.

ولزيادة التأكيد نأتي بأدلة أخرى من الكتاب المقدس في إثبات أن السيد المسيح هو الخالق :

(يوحنا ١ : ٣) "كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ وَيَغْيِرُهُ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ."

(يوحنا ١ : ١٠) "كَانَ فِي الْعَالَمِ وَكَوَّنَ الْعَالَمُ بِهِ وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ."

(عبرانيين ١ : ٢) "كَلِمَتًا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ - الَّذِي جَعَلَهُ وَارثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمَلَ الْعَالَمِينَ."

من واقع هذه الأعداد نفهم أن السيد المسيح هو الخالق ، فكيف يكون هو أول الخلائق ؟

وتأكيدا على أن دعوة المسيح بالبكر كانت لبيان أنه أعظم من ظهوروا على الأرض، بمعنى أنه الأعظم في الكرامة ، و الأسبق في الكرامة و ليس الأسبق في الزمن (بأنه مخلوق قبل كل البشر) ، نسوق هذا الدليل الأخير من رسالة القديس بولس إلى رومية :

(رومية ٨ : ٢٩) "لَأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيْنَهُمْ لِيَكُونُوا مِثْلِيهِمْ صُورَةَ ابْنِهِ لِيَكُونَ هُوَ بَكْرًا بَيْنَ إِخْوَةِ كَثِيرِينَ."

بكرًا بين إخوة كثيرين ، ليس معناها أن الجميع هم إخوة للسيد المسيح، و أن المسيح قد خُلِق قبلهم أو وُلِد قبلهم ، و لكن المقصود أن المسيح هو الأعظم بين بني البشر في الكرامة و القدرة و ما إلى ذلك .

وبمقابلة ما كتبناه عن أن البكورية قد تُعطي لإبن غير الابن الأكبر و أنه يكون هو المسئول عن ميراث العائلة ، نقابل كلمة بكر التي جاءت عن السيد المسيح ، مع ما كتبه القديس بولس في رسالته للعبرانيين :

(عبرانيين ١ : ٢) "كَلَّمَآ فِي هَذِهِ الْآيَّامِ الْأَخِيرَةَ فِي ابْنِهِ - الَّذِي جَعَلَهُ وَارثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، الَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ."

هنا نفهم أن كلمة جعله الوارث ، تُفيد أنه ليس بكرًا في الزمن ، و لكنه بكرًا في الكرامة و القدرة (ارجع لما قلناه في بداية البحث عن خلفية معنى كلمة بكر في العهد القديم و كيف أن اغلب الأبار الذين استخدمهم الرب في خطة الخلاص لم يكونوا أبارًا بحسب ترتيب الولادة ، ولكن نُقلت لهم البكورية بحسب الحقوق و الكرامة و القدرة و المسئولية عن الميراث)

ملحوظة أخرى لتنتفي تماما الرأي القائل بأن السيد المسيح مخلوق (لاهوتا و ناسوتا، و ليس ناسوتا فقط)

(١كورنثوس ١ : ٢٤) "وَأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ : يَهُودًا وَيُونَانِيِّينَ فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةَ اللَّهِ وَحِكْمَةَ اللَّهِ."

إذن السيد المسيح هو :

١- قوة الله

٢- حكمة الله

فكيف يمكن أن نقول أن حكمة الله ، و قوة الله مخلوقين ؟
أي أنه كان هناك فترة لم يكن الله فيها حكيم و لم يكن الله قوي ؟

و نناقش الآن إحتمالية معاني كلمة بكر كل خليفة :

إن كانت كلمة بكر كل خليفة تُعني أنه أول المخلوقات ، فأين مرجع هذا الكلام من سفر التكوين ؟

عندما نقرأ في سفر التكوين نجد ترتيب الخلق كالآتي :

١- السموات و الأرض

٢- النور

٣- الجلد

٤- اجتماع المياه و فصلها عن اليابسة

٥- أعشاب و بقول و أشجار

٦- الشمس و القمر

٧- مخلوقات بحرية

٨- مخلوقات برية

٩- الإنسان (آدم ثم حواء)

أين نجد في قصة الخلق أن أول من خُلق هو السيد المسيح ؟؟
بالعكس ، إننا نجد أن أول من خُلق من البشر هو آدم ، ثم خُلقت منه حواء.
فكيف يكون السيد المسيح هو أول المخلوقين ؟؟؟

لن تجد تفسير واحد لكلمة بكر كل خليفة سوى ما سبق و كتبناه في البحث.

تلخيص لما ورد في هذا البحث :

تحدثنا عن الخلفية اليهودية لكلمة بكر في العهد القديم ، و فرقنا بين أنواع الابكار ، ما بين بكر بحسب ترتيب زمن الولادة ، و بين بكر بحسب حقوق الميراث و البركات وما إلى ذلك .
 وأوضحنا أن كلمة بكر يرتبط بها العديد من الصلاحيات و الإمتيازات، فإن البكر يكون له أولوية في الكرامة و في الميراث و في كل شيء.
 وأوضحنا أن البكر الذي يظهر في خطة الخلاص التي وضعها الله ، هو دائما ليس البكر بحسب ترتيب زمن الميلاد، بمعنى أنه ليس البكر الأكبر في السن ، و لكنه يكون ابن اخر بخلاف الابن الكبير ، و تنتقل له البكورية.
 و هذا هو الوضع الذي نقابله في كلمات القديس بولس عن السيد المسيح، فإن السيد المسيح ليس هو بكرا بحسب ترتيب الخلق ، لأنه غير مخلوق كما أوضحنا، كما أنه ليس اول المخلوقات، ولكنه بكرا في تجسده لأن له عظم الكرامة و أولويتها ، وهو أعظم من ظهر على وجه الأرض، وهو أعظم من قام من الاموات أيضا.
 وبالتالي عند القراءة الدقيقة لهذه الشروحات نجد أن كلمة بكر كل خليفة لا تعني أن المسيح هو أول من خُلق.

إن شعرت أن الكلام غير مفهوم ، أو له وقع ثقيل على الأذان، من فضلك أرسل لنا و سنجيبك سريعا و سنعيد صياغة البحث بطريقة أبسط و بمصطلحات اسهل. لا تتوانى من فضلك عن مخاطبتنا على الإيميل إن كنت في حاجة لشرح أكثر

References:

- 1- Dr Robert Key , The Old Testament Background Of The Firstborn